لا تضعوا حداً لما لا حدود له

ياسين طه حافظ

حين نستقل بأنفسنا، بفكرنا نحن وتأملاتنا نحن، ننتبه الى ما يستوجب إعادة التفكير فيه. المسائل والأفكار ليست كما استقرت في اذهاننا. من هذه أننا في كل الأزمنة والى يومنا، ما استطعنا ان نمتلك عقلاً لا يمازجهُ وهمٌ أو معتقد قديم أو توجه اسطوري. حتى العلماء الماديين الموضوعيين جداً، نجد بعضهم لا ينفصل تماماً عن الغيب أو لا تخالطه إيمانات موروثة. وإذ تنفصل العلوم والتقنيات والفنون بعضها عن بعض ظاهرياً، هي لا تنفصل دائماً ولا تماماً. كثيراً ما نجدها في لقاء، في ألفة او في تكامل.

وفي تأمل إرثنا المعرفي لن نجد علماً أو تكنولوجيا. نرى استمداد العديد من التجريبات العلمية من الغيبيات والاساطير حتى من الموغلة في القِدم، فهي لا تصدر عن عقل علمي واختيار حر. والثقافات البدائية ما كانت تفرق بين الواقع والخارق للطبيعة. والخوارق كانت عندهم من فعل الارواح. وحتى اعمالهم "التقنية" والتي تنجزها حركات أيديهم مثل بناء منزل أو صنع قارب وانزاله للماء، فأعمال كهذه تصحبها شعائر دينية أو سحرية. فحين يبني داراً يؤدي أو يكون قد أدى طقساً ليفوز بالرضا الإلهي عن العمل وليعينه على أكماله. كما ان الايغال في الزخرفة لانتاج ما ينجزه لا علاقة له بالكفاءة المادية. في عصرنا المسألة تختلف، هنا هي للترويج. ولكن ماذا نقول في صنع "تميمة" وتُزخرَف وتحفظ بجلد وقد ينقش عليها بالذهب؟ هو طلب عون بما مدون وعونٍ اضافي بما منقوش.. ومعنى هذا أيضاً ان اشباع حاجات الإنسان الاساسية ما كان معزولاً عن الارضاء الجمالي، بل كانا معاً. وهل ما يعبر عن الارتباط العقلاني بالسحر أكثر مما نجده في قول هسيود، والذي أورده توماس مونرو في تطور الفنون، وهو الذي نبهني الى علاقة السحر بالفنون وأفادني فأنا أكتب عنه :

"فلنبتهل الى زيوس إله الأرض، وديميتر ربة الزراعة، النقية ان تصبح بذرة ديميتر المقدسة وافرة.

هكذا أدعُ حين تقبض بيدك على مقبض المحراث وأنت ترخيه ليعلق بظهر الثور وهو يجر العمود المشدود الى رأسه. وأجعل عبداً شاباً يتبعك ومعهُ فأسهُ. وأبعد الطيور بتغطية البذور. وأن أنت حرثت متأخراً، فلتكن هذه تعويذة لك: حين يطلق الوقواق صيحاته بين أوراق البلوط ويبهج الناس، فسل زيوس أن يسقط المطر في اليوم الثالث وأن لا يغفل عنا ولا يقصّر..."

وكل طقوس الاديان والعقائد تعتمد تقنيات حركة الايدي والرؤوس والوقوف والانحناء ورفع اليدين.. وحتى اليوم تُعتمَد الآلهة والأولياء في الحرب ومع احدث الأسلحة! وأن الآلهة تشعل النيران في بساتين الأعداء ومدائنهم. وتكافئ الآلهة بالقرابين لما أحدثته من مجازر في صفوف الأعداء، ونحن نعلم من اشعل النيران..

حاجة الإنسان للإيمان بالقوة الإعجازية ما انقطعت ولا أظنها تنقطع يوماً. فمثلما يزداد بعض الناس مروقاً وبعداً عن الروح أو الأرواح، بعضهم الآخر يزداد إيماناً وغالب الناس يجمعون الاثنين. فنحن ندعو الله لتحقيق النصر لدينه أو لمعبده، او لمصالحنا، تتحقق بوسائل مادية : أسلحة وآليات وحركات تقنية. من قبل كانت الوسائل عصياً وسهاماً. نستعمل اليوم الطاقة ومن قبل كانوا يفيدون من اشعال النيران التي توقدها أيديهم. وكم من اخطائنا وخسائرنا ومن الاحداث المؤلمة لنا، نعزوها الى أثم اقترفناه أو تقصير بحق أحد أو لعدم ارضاء الله. وحتى الآن الشيخ فلان أو الراهب فلان هو الذي يُجبر الذراع المكسورة وأحياناً يباركها لتشفى وهي واحدة فالتة من أدوات التركيب التقني الجسدي. لها تركيب وفعل تكنولوجي آلي وتحتاج الى مهارات تقنية حرفية تعيدها. فهم يلوون المفصل ليعيدوه مكانه من الجهاز – او الجسد. وأولاء الذين يعملون ببركاتهم ومهاراتهم معاً يطردون مع الفعل التقني الارواح الشريرة من اجزاء الجسم المعطوبة او المتضررة او المصابة بجرثومة. ولعل الجراثيم هي الارواح الشريرة ولكن كيف يطردها الكلام؟ وما سر هذا الكلام الغامض الذي بعضه مسموع وبعضه همس لا يسمع؟ وكيف هم يجالسوننا في البيت والمقهى ومع ذلك لهم تواصل مع الجن ولهم الحظوة بين الملائكة؟ ونحن نعرف ايضاً كم تحكمت الطوطمية بتقنيات العمل في افريقيا؟ وما نزال نحن نذبح دجاجة أو خروفاً لنقي السيارة الجديدة من الاصطدام أو العطل ونحن نعلم ان السيارة مجموعة آلات وأدوات وأنها جهاز تكنولوجي نعرف تفاصيله كما نعرف كيف تعمل السيارة ونعرف ايضاً امكنة صنعها ومصدّرها ومستوردها. لست ضد او مع ما سلف ولكني أعرض اختلاط السحر بالعلم والوهم بالتقني.

انتبهت لنفسي وأنا اختار لفظة بديلاً عن أخرى، أني أبحث للعبارة عن سحر أكثر. المسألة في الشعر ليست معجمية ولكنه النظر لفعل الموسيقى في الكلمة. والحروف والاشكال الهندسية والدوائر والمثلثات والمربعات والخطوط والارقام (رياضيات) لها قوى لجلب السحر فنصنع منها تمائم وطلاسم. واذا كان الفعل لاسماء الله او الاولياء فما جدوى هذه الاشكال الهندسية والحروف والارقام؟ هنا تتداخل الهندسة واللغة والرياضيات مجتمعةً في قماشة أو محفظة صغيرة من جلد..

هل تسحبنا أمور مثل هذه الى أن الشعر ونحن نختار كلماته وصياغاته، هو أيضاً عمل سحري مخدِّر بموسيقى الكلمات او بالايحاء وأننا نؤسس فيه خيالات وعالماً حلمياً ضمن عالمنا؟ والشعر في حال كهذه "مادة" وسيط بين الواقعي والسحري. والقول "ان من البيان لسحرا" يتجاوز التأثير البلاغي الموسيقي الى السحر، الى ما هو ابعد من التعبير عن العواطف. فهل يقع التعزيم قريباً من هذا؟ والآن اسمحوا لي بتساؤل آخر: هل يمكن لنا معايشة تجربة على المسرح إذا لم نتقمص شخصية البطل ويتصل بعض من خبرتنا في الحال المعروض علينا؟ هل هي عملية سحر أيضاً، هل هي جذب وتماهٍ و إن كانت محدودة ولزمن؟

في ضوء ما تقدم، نسأل : ما هو الشاعر إذا لم يكن مخلصاً لتجربته هو، حاضرة كانت هذه التجربة أو متذكّرة وبلا اتصال بالباطن أو بالماوراء؟

وهل كل اللوحات والروايات، التي هي نتاج تلك التطبيقات أيضاً وتطلق ذلك النوع من السحر والذي به وحده يصبح العمل الكتابي – الآلي فناً؟

نحن الآن في حال من يطلب من العالم عوناً ليهبه حلولاً، وضوحاً ليرى. لكني اسعف نفسي بأننا لا ندري متى وكيف نشأت الحياة وما مر بالإنسان وكيف تكاملت معارفه وعقله وماذا احاطته من قوى. وكم هو تأثير بقيا انتباهات الفطرة ورؤية الفجر الاول للعالم وانكشاف الكون لعقل بكر في تلك العوالم المجهولة. حضور الإنسان في الكون ما يزال مجهولاً ومحاطاً بالاسرار. والا كيف نفسر الانتباهات العبقرية الاولى؟ اقرب من هذا كيف نفسر "الابداعات الكبيرة والقيمة لليونان والرومان ثم العديد من الدول الاوربية، حتى قبل ان تقطع هذه الدول شوطاً بعيداً في تكوين الامبراطوريات؟" وكيف نفسر الرمزيات بعيدة المدى في النصوص الشعرية القديمة وقبلها في رسوم الكهوف؟ وما هي هذه الثروات المختزَنة في التاريخ البشري والتي تأخذ بمخيلة الانسان الى ما بعد الواقع؟

هي ليست سذاجة ولا بدائية. نحن نرى أبعاداً رمزية هذا ما يقوله المعجم في تفسير الميتافيزيقيا "هو نظام للتفسير يفوق ما يتسم به الفكر العادي من صنوف القصور وعدم الدقة.." فهل هو اقرار بأن هناك ما لا نلمّ به وما لا نستطيع له تفسيراً؟ التجريب ليس كافياً والعلم ليس كافياً ولكنهما معاً وراء سرعة التقدم الحاصل للحضارة الإنسانية. هذا التقدم الجدير بالتعظيم يقول لنا أيضاً أن هناك أسراراً في مراحل قبل الحضارة جديرة بالهيبة! لا اتحدث عن الحقائق المطلقة اتحدث عن القوى الخلاقة للإنسان.

توماس مونرو

(تحديات تواجه الإرث الثقافي العراقي).. في ندوة حوارية

عدوية الهلالي

استضاف منتدى جمعية الأمل العراقية، وضمن أمسياته الثقافية الباحث المهتم بالشأن الآثاري الاستاذ سلام طه في ندوة حوارية بعنوان (تحديات تواجه الإرث العراقي) في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني أدارها الاعلامي عماد جاسم وحضرها نخبة من الاكاديميين والمثقفين والاعلاميين.وجرى في الندوة مناقشة كتابه (الكارثة) الذي أثار مؤخرا جدلاً واسعاً..والباحث سلام طه كان قد حصل على بكالوريوس في الهندسة وأهتم بالشأن الآثاري العراقي فأصدر مذكرات الآثاري العراقي الراحل بهنام ابو الصوف وانشأ موقعاً الكترونياً وله كتاب مترجم عن العراق القديم ومقالات عن ذاكرة العراق في السوق السوداء نشرت في صحف عديدة وفي مجلة سومر الآثارية كما لديه اسهامات عديدة في الحفاظ على التراث العراقي..

تناولت الندوة عدة محاور مهمة إذ تحدث فيها الباحث طه عن أهمية الآثار العراقية في ترسيخ الهوية الوطنية وتأثير الإرث الثقافي العراقي في تعزيز الهوية الشاملة والنهب والتدمير الحاصل في المواقع الأثرية وعن ذاكرة العراق في السوق السوداء، مستعرضاً الاحداث التي سبقت حلول الكارثة بالمتحف العراقي والاحداث التي أعقبتها وصولاً الى مرحلة تدمير الاثار العراقية في شمالي العراق بعد دخول داعش الى العراق ضمن سبعة فصول قام بترجمتها لسبعة اكاديميين اميركيين وسبعة فصول أخرى كتب أربعة منها وأضاف مقالين للدكتور عبد الأمير الحمداني ومقال للدكتورة زينب البحراني من جامعة كولومبيا، بهدف إعادة التذكير بأهمية التراث العراقي ودوره في بناء الهوية الوطنية وضرورة الحفاظ عليه..

استعرض الباحث فصول كتابه (الكارثة) متناولاً عمليات سرقة الآثار العراقية وتهريبها الى الخارج بدءاً من سنوات التسعينيات والظروف التي رافقت الاعتداء الاميركي على العراق والجهود التي بذلتها الحكومة الاميركية بالتعاون مع بعثة ايطالية متخصصة لحماية المواقع الاثرية وتوثيق القطع الأثرية المسروقة وفهرسة الخسائر بعد تعرض أرشيف المتحف العراقي للحرق عبر عمل قاعدة بيانات لمقتنياته واحصائيات للمواقع الأثرية وحجم النهب الذي تعرضت له بهدف إقامة دعاوى لاسترداد القطع المسروقة..كما تعرض الباحث للجوانب القانونية والتشريعات والاتفاقيات الدولية التي تحمي الأثر الثقافي العراقي وقضية انتشار القطع الأثرية العراقية غير الموثقة رسميا في الجامعات والمتاحف العالمية، فضلا عن قضية عسكرة المواقع الأثرية في بابل ونمرود التي تحدث عنها مقال الدكتورة زينب البحراني في الفصل الأخير من الكتاب وكيف تعامل الجيش الاميركي بلامبالاة مع الطبقات الأثرية في تلك المناطق من خلال تعريضها لمرور الدبابات والعجلات العسكرية رغم معاناة المنطقة من المياه الجوفية وتأثيرها على إدامة الآثار..

بعد ذلك، تم فتح باب النقاش فأدلى الحضور بآرائهم وطرحوا اسئلة تخص محتوى الكتاب كما استعرضوا ماليديهم من معلومات حول قضية الآثار العراقية مع تقديم اقتراحات للمحافظة على المقتنيات الأثرية العراقية واسترداد ماتم سرقته منها...

قناديل

▪ لطفية الدليمي

لماذا غيابُ جائزة ثقافية عراقية محترمة؟

أثار فوز الصديق العزيز (عبد الخالق الركابي) بجائزة العويس الثقافية مؤخراً عن مجمل نتاجه السرديّ غبطة مؤجّلة في نفسي وأنا أرى أحد روّاد السردية العراقية يُكافأ بشيء من إستحقاقه – المؤجّل كثيراً هو الآخر – ؛ غير أنّ الأمر أثار في الوقت ذاته جملة من التساؤلات المحزنة – تلك التساؤلات التي تتجدّد كلّما شهدتُ وقائع الإعلان عن فائزين بواحدة من الجوائز الثقافية المرموقة – مكانةً وقيمة مالية – والتي تكاثرت في السنوات القليلة الماضية وأصبحت تهتم بحقول معرفية متخصصة أحياناً (مثل حقل الترجمة).

إنّ مردّ حزني هو غياب العراق عن رعاية جائزة (وحريّ بنا أن نقول جوائز عدّة) ثقافية في ميادين معرفية كلاسيكية – كالحقول السردية من رواية وقصة قصيرة،، الخ) فضلاً عن جوائز ثقافية تخصصية – مثل حقل العلوم الإجتماعية والترجمة والعلوم الطبيعية والهندسية والطبية – ؛ إذ لايخفى أنّ الجوائز الثقافية أصبحت وسائل ستراتيجية ضاربة باعتبارها إدوات ناعمة في السياسات الثقافية التي تعد جزءاً حاسماً وحيوياً من الستراتيجية العامة لكلّ بلد يسعى لإمتلاك سطوة مستحقّة له – تلك السطوة التي تعمل جميع البلدان على توظيفها في سبيل تحقيق مصالحها العليا على المستويين الإعتباريّ والماديّ، ويصبح إمتلاك مثل هذه الأدوات الناعمة أقرب لواجب مفروغ منه عندما يختصّ الحديث ببلدان ثرية بمصادرها البشرية والإقتصادية، وليس من شكّ في أنّ العراق واحدٌ من هذه البلدان.

ثمة جائزة للإبداع تنهض بمهمتها وزارة الثقافة العراقية ؛ غير أنّنا نعرف الظروف البائسة التي تحيط بهذه الجائزة وبقيمتها المالية التي لاترقى إلى سمعة بلد ثريّ مثل العراق، ويبدو أنّ الفاسدين يستكثرون توفير مبلغ محترم يليق بسمعة العراق ويتمّ تخصيصه لجائزة ثقافية عربية في حقول معرفية عدّة ؛ لكنْ يبدو واضحاً أنّ الفساد قد عشعش في أروقة المؤسسات الثقافية العراقية الرسمية والقائمين عليها وماعادوا مكترثين بسمعة العراق ودوره الثقافي العريق الذي إقترن بالعديد من جوانب الحداثة في القرن العشرين.

إنّ الحديث المتواصل عن العجز المالي في الموازنة العراقية ليس بالأمر المسوّغ، ولاأحسب أن القائمين على أمر الثقافة العراقية الرسمية عاجزون عن إيراد قائمة جاهزة بالأسباب التي تعيقهم عن تأسيس جائزة ثقافية كبرى، وما أن تنتهي مفاعيل سبب ما حتى يهرعوا نحو التعلّل بسبب آخر : لماذا لم تتأسّس مثل تلك الجائزة في سنوات الوفرة المالية التي وصفت بالإنفجارية والتي أهدرت في مشاريع بائسة مثل (بغداد عاصمة الثقافة) وغيرها من المشاريع التي فتحت أبواب الفساد على مصاريعها؟

يبدو لي أمراً حصيفاً تماماً أن لا نعوّل على الخطوات الإجرائية الرسمية المتهالكة المثقلة بالفساد، وربما يمكن البدء بخطوات أولية تنهض بها المؤسّسات الثقافية غير الرسمية في تأسيس جائزة ثقافية عراقية، ولاضيرَ أن تقتصر على العراقيين في سنواتها الأولى، وليس من المحتّم أن تكون قيمة الجائزة مناظرة لقيمة الجوائز الخليجية المدعومة بإمكانيات الدولة وقدراتها المالية الكبيرة ؛ بل يكفي أن تكون مناظرة لبعض الجوائز الأوروبية التي قد لاتتجاوز العشرة آلاف أو العشرين ألف دولار كجائزة الاورانج مثلاً، ويكفي أن ترتبط تلك الجائزة بتقاليد ثقافية راقية وبسيطة يمكنها أن تضخ بعض الأمل والحماسة في أرواح المبدعين العراقيين الذين لطالما عملوا بطهرانية وتفانٍ ولم يضعوا أيّ إعتبار لجائزة أو مكافأة في حسابهم.

ثمة جائزة للإبداع تنهض بمهمتها وزارة الثقافة العراقية ؛ غير أنّنا نعرف الظروف البائسة التي تحيط بهذه الجائزة وبقيمتها المالية التي لاترقى إلى سمعة بلد ثريّ مثل العراق

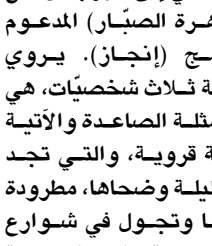

(زاغروس) أول فيلم عراقي.. وسيرة شاعر في ماري شيلي

دبي: علاء المفرجي

تتواصل عروض المهرجان لليوم الثاني بعرض مجموعة من الأفلام في مختلف المسابقات، ففي أول العروض العراقية يعود المخرج العراقي الكردي سهيم عمر خليفة، الحائز على العديد من الجوائز إلى مهرجان دبي السينمائي الدولي مع فيلمه الروائي الطويل الأوّل (زاغروس)، والذي يروي فيه قصة كردي يعمل راعياً للغنم ويعشق زوجته، ولكنها ترحل هي وابنتها إلى بلجيكا إثر إشاعات انتشرت عن خيانة المرأة لزوجها. وبعد فترة يلحق الرجل بالمرأة وابنتها. وهناك يكتشف أموراً غريبة عن زوجته ما يهز ثقته بها.

وعليه اتّخاد قرار حاسم.

ويعود إلى المهرجان المخرج الروسي أندريه زفياغينتسف، الحائز على عدة جوائز، لعرض عمله الأخير (بلا حب) الذي حاز على «جائزة لجنة التحكيم» في مهرجان «كان" السينمائي بدورته السبعين هذا العام. وقد أختير الفيلم رسمياً لتمثيل روسيا في التسابق على «أوسكار" أفضل فيلم غير ناطق بالإنجليزية لعام ٢٠١٨. يتناول الفيلم الدرامي جانباً من الحياة المعاصرة في روسيا الحديثة، عبر الحديث عن حياة الطفل أليوشا البالغ من العمر ١٢ عاماً، ويعيش مع والدَين أهملاه وانشغلا بإجراءات الطلاق. للزوجة شريك جديد، فيما يستعدّ الزوج لأن يُرزق بطفل من امرأة أخرى. كلاهما يسعيان إلى المضي قدماً في حياتهما الجديدة. إلا أن اختفاء إليوشا بعد أن شهد واحداً من شجاراتهما المتعدّدة يُعيد خلط الأوراق. فهل ستجمعهما هذه الفاجعة أم ستفرقهما أكثر!.

وتشارك المخرجة السعودية هيفاء منصور في المهرجان بفيلمها الروائي الثاني (ماري شيلي) بعد عرضه العالمي الأول في مهرجان تورونتو السينمائي. وتلعب بطولة الفيلم نجمتا هوليود «إيل فينينغ» و«مايسي ويليامز». يتناول الفيلم قصة لقاء الروائية الإنجليزية «ماري وولستونكرافت جودوين»، بالشاعر الثوري والفيلسوف الإنجليزي «بيرسي شيلي» ويعيشان قصّة حب بوهيمية أثارت كثيراً من الجدل في مجتمعهما الراقي حينها. وحين تقع الكارثة بفقدان ابنتهما التي ولدت من هذه الأصرة، تكون ردّة فعل «ماري» بتحقيق مُنتج إبداعي، حيث كتبت رواية الخيال العلمي الأولى في التاريخ: «فرانكشتاين». وعقب حصوله على جائزة «السعفة الذهبية» من مهرجان «كان » السينمائي، يشارك المخرج السويدي روبن اوستلوند في مهرجان دبي السينمائي من خلال فيلمه الكوميدي الساخر (المربّع).

يتناول الفيلم قصة الناقد التشكيلي كريستيان، الذي يُشرف على برنامج عروض متحف للفن المعاصر. يعنون كريستيان النشاط التالي للمتحف باسم (ذي سكوير)، والذي يدعو عبره المشاهدين والمارّة إلى مناهضة المعتقدات، مُذكّراً إيّاهم بمسؤولياتهم تجاه أبناء جلدتهم. إلاّ أنّ الاخلاص للمبادئ ليس أمراً هيّناً في هذا الزمان. فحين يتعرّض كريستيان إلى سرقة هاتفه النقّال، يُقدمُ على ردّات فعل خرقاء تضعه أمام مواقف مخجلة. وما هو أدهى أنّ كلّ ما يحدث يتزامن مع حملة إعلانية واسعة أطلقها المتحف للترويج للمعرض المقبل. إذّاك يجد كريستيان والمتحف نفسيهما إزاء أزمة تعايش.

تنضم المخرجة المصريّة الموهوبة هالة القوصي إلى المهرجان مع فيلمها (زهرة الصبّار) المدعوم من برنامج (إنجاز). يروي الفيلم قصّة ثلاث شخصيّات، هي عايدة، الممثلة الصاعدة والآتية من خلفية قروية، والتي تجد نفسها بين ليلة وضحاها، مطرودة من منزلها وتجول في شوارع القاهرة بصحبة جارتها سميحة البرجوازية المنطوية، ودونما أيّ مال أو مكان تلجأن إليه. تبدأ عايدة بمساعدة شاب اسمه ياسين رحلة البحث عن مأوى. يتحرك الثلاثة في رحلة لاكتشاف الذات ما بين أحداث عادية، وأخرى كارثية أحياناً، وتنمو بينهم صداقة تفوق الاعتياد، مثل زهرة رقيقة تتفتّح من بطن صبارة شائكة.